سلطان ناجي
بيروت، مجلة المستقبل العربي، العدد الثاني والثلاثون، السنة الرابعة، 1981م

الثقافة كميدان مواجهة بين التحرر و الإستعمار *

النتائج العامة

يمكننا إستخراج النتائج العامة التالية من هذه الحالة اليمنية:

- لم يفتح الإنجليز أول مدرسة إبتدائية إلا بعد مضي حوالي ربع قرن من إستعمارهم للمنطقة اليمنية. و قد كان هدفهم هو نشر التأثير البريطاني، و تخفيف كراهية اليمنيين ضدهم، و جذب أبناء الأعيان، و تخريج كتبة للإدارة البريطانية.
- منذ البداية عملت السياسة الإستعمارية على تعميم ثقافتها و تدريس تاريخ الإمبراطورية على حساب منعها تدريس التاريخ اليمني و العربي و الإسلامي و الدين و طمس اللغة العربية. و قد شجّعت أيضاً من البداية إدخال التعليم التبشيري في هذا البلد العربي الذي لم يكن يوجد فيه مسيحي يمني واحد عند الإحتلال بحيث أصبح التعليم التبشيري في الأخير هو السائد.
- بعد مضي ما يقارب المائة عام من الإستعمار البريطاني أصبح التعليم مبعثراً و موزعاً بين أربعة أنواع من المدارس: الحكومية، و التبشيرية، و المعانة، و الكتاتيب. و لم يتعد عدد المدارس الإبتدائية الحكومية و المعانة بعد مائة عام من الإستعمار عن عشر مدارس، و تلاميذها عن ألف فقط. أما المدارس الأنجلو/ محلية (Vernacular) ذات الأقسام الثانوية السفلى، فلم يزد عدد طلبتها عن مائتي طالب. و لم تستطع خلال طيلة هذه المائة سنة من الإستعمار أن تخرّج طالباً واحداً يحمل الشهادة الثانوية العامة. و كانت برامج التعليم تفتقر إلى عناصر هامة كالجبر و الهندسة و الصحة و الجغرافية الطبيعية. أما بالنسبة للغة العربية و الدين فقد أُدخلا فقط في آخر هذه الفترة. و كانت اللغة العربية أضعف الدروس على الإطلاق، أما بالنسبة للدين الإسلامي فلم تكن تعطي له علامات في نتائج التلاميذ.
- بالنسبة للسلطنات و الإمارات المحيطة بعدن، فقد حاول الإنجليز منذ البداية إنشاء جهاز تربوي خاص بجانب الجهازين السياسي و العسكري لإخضاع تلك المناطق. و في الأخير تجسد هذا الجهاز التربوي السياسي في إنشاء مدرسة (كلية أبناء الرؤساء). و لأهمية الموضوع فقد قام مساعد الحاكم البريطاني نفسه في وضع السياسة و المنهاج لهذه المدرسة و الإشراف على تسييرها. لقد كان هدفهم المعلن هو تربية و إعداد السلاطين و الأمراء و المشايخ الجدد و تنشئة هذا الكادر الجديد تحت التأثير المباشر لبريطانيا. و لم يكن الهدف إعطائهم ثقافة عالية و إنما فقط ما فيه الكفاية من اللغة الإنجليزية تمكنهم من الإتصال بالضباط و الموظفين الإنجليز، و مستوى محدود من اللغة العربية تجعل في إستطاعتهم كتابة

رسالة مفهومة. أما بالنسبة لتعليم أبناء الشعب من غير الأمراء و السلاطين، فإن الإنجليز طيلة هذه الفترة لم يفتحوا مدرسة إبتدائية واحدة.

.....

* طبعة حديثة و معدلة للبحث المنشور عامي 1981م و 1982م بعنوان: دور الجمعيات الإصلاحية و النوادي الثقافية في مجابهة السياسة التعليمية في عدن خلال فترة تبعيتها للهند 1839م ـ 1937م. (للمزيد راجع:" قائمة الأعمال").